أطفال الشوارع في اليمن.. معالجات حكومية.. وتقاعس أسري

اليمن إحدى بلدان العالم الأقل نموا وهي من أفقر الدول في منطقة الشرق الأوسط. مجتمع اليمن ريفي تقليدي بشكل أساسي، على الرغم من التمدن المتدفق الذي يبرز الآن في أجزاء مختلفة من البلاد وقريبا ربما يغير الميزان الديمجرافي.

في الوقت الحاضر، يعيش ٧٧٪ من اليمنيين في آلاف من المدن الصغيرة والقرى ويتمركز البقية في مراكز التمدن في صنعاء وعدن وتعز والحديدة. وحوالي ٤٥ بالمائة من سكان اليمن هم تحت سن الخامسة عشر. .الجمهورية اليمنية هي نتاج إعادة توحيد اليمن الشمالي واليمن الجنوبي عام ١٩٩٠. وقد رافق هذه العملية عدة تحديات سياسية واقتصادية، ليس أقلها اندماج نظامين سياسيين مختلفين جدا، مما أدى إلى عملية تنقيح قانوني واقتصادي واجتماعي وسياسي.

خلال تلك العملية تعرضت اليمن لصدمة شديدة بعودة قرابة مليون مهاجر يمني من السعودية ودول الخليج الأخرى نتيجة أزمة الخليج بعد الغزو العراقي للكويت. وواجهت اليمن أزمة كبيرة أخرى بحرب الانفصال في عام ١٩٩٤، عندما حاول الاشتراكيون العودة إلى ما قبل الوحدة.

ظاهرة أطفال الشوارع

أطفال الشوارع هي ظاهرة جديدة على المجتمع اليمني، لكنها تعود إلى بداية التسعينات، عندما تعرضت البلاد لأزمة اقتصادية خطيرة. عدد الأطفال في الشوارع يزداد بشكل ملحوظ، ويشمل أطفال جماعة مهمشة في المجتمع (ما يطلق عليهم بالعامية الأخدام)، وأطفال العائدين من حرب الخليج الأولى، وأطفال الأسر التي قدمت إلى العاصمة صنعاء من محافظات أخرى، وأطفال الأسر الفقيرة التي تعيش أصلا في صنعاء.

ويمكن تعريف أطفال الشوارع بأنهم من يعيشون على التسول أو ممارسة أعمال هامشية والمشردين والمحرومين من العناية الأسرية.

لا توجد إحصائيات خاصة بعدد أطفال الشوارع في اليمن، وكثيرا ما تكون التخمينات مبالغة.

في أخر بحث لمنظمة اليونيسيف التابعة للأمم المتحدة أشار إلى أن عدد أطفال الشوارع في مدينة صنعاء يقارب ٢٨ ألف و٧٠٠ طفل. ومعظم هؤلاء الأطفال هم ما بين سن ١٢ و١٤ عاما.

العوامل التي تدفع بالأطفال إلى الشوارع متعددة منها:

عوامل اقتصادية

البطالة والفقر وتزايد السكان والهجرة الداخلية والنسبة العالية من الأطفال الذين لا يلتحقون بالمدارس.

عوامل اجتماعية

التفكك الأسري واليتم والطلاق إما بالهجرة الطويلة أو بالمشاكل الأسرية. والمسكن هو أحد الأسباب الكبيرة التي تجبر الأطفال للجوء إلى الشوارع بسبب ضيق المكان والظروف المعيشية الفقيرة وانعدام مياه الشرب النظيفة.

الهروب من المدرسة

عدم القدرة على التكيف بنظام التعليم الرسمي وبعد المدارس عن المنازل هي عوامل أخرى تدفع بالأطفال إلى الشوارع. وارتفاع تكلفة التعليم وضعف تأهيل المدرسين والعقاب البدني والافتقار للأجواء الجيدة بين المدرسين وطلابهم هي أيضا عوامل تساهم في هروب الأطفال من المدارس إلى الشوارع.

المعالجات

نظراً لوجود تداخل بين التسول وأطفال الشوارع وبين عمالة الأطفال، شرعت اليمن إلى اتخاذ إجراءات عديدة للتعامل مع هذه القضايا، وأصدرت قوانين جديدة أو نقحت بعضها مثل قانون حقوق الطفل وقانون الأحداث وقانون الجزاءات. .كل تلك القوانين تتضمن مواد خاصة بحماية أطفال الشوارع. وقانون الأحداث وقانون السلطات القضائية دعما إنشاء محاكم خاصة بالأحداث. وفي الوقت الحاضر هناك سبع محاكم للأحداث في مختلف أنحاء اليمن. .وقامت اليمن أيضا بإنشاء عدد من المشاريع الوقائية لتخفيف تدفق الأطفال إلى الشوارع، من ضمن تلك الإجراءات تأسيس الصندوق الاجتماعي للتنمية وصندوق الرعاية الاجتماعية والبرنامج الوطني لتخفيف الفقر في صنعاء وعدن والبرنامج الوطني للأسر المنتجة.

التحديات

١- لا يوجد تشريع حكومي مفعل أو سياسات مباشرة لمكافحة ظاهرة أطفال الشوارع.

فما هو موجود لايتعدى استراتيجية عامة للتخلص من الفقر وتقليص الفجوة التنموية بين المناطق الريفية والمتمدنة.

٢- انعدام المتابعة والإشراف على الأطفال ورفقائهم من قبل الأسر.

٣- عدم كفاية الإجراءات من قبل الجهات الرسمية وغير الرسمية في نشر التوعية وخلق برامج وسياسات وقائية فعالة.

٤- تجاهل الرقابة على هجرة الأطفال من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية والمشاكل التي قد يواجهونها.

التوصيات

١- مشاركة منظمات المجتمع المدني هي مطلوبة للسيطرة على هذه الظاهرة.

٢- إنشاء الكثير من المراكز المتخصصة بأطفال الشوارع في المحافظات اليمنية.

٣- توعية المجتمع وهذا بحاجة إلى بذل الكثير من الجهود من قبل وسائل الإعلام المختلفة.

٤- إشراك المؤسسات الأكاديمية سيشجع في إعداد البحوث والدراسات على ظاهرة أطفال الشوارع.

■ لندن- منتدى المجتمع المدني للشرق الأوسط وشمال أفريقيا(خاص بحماية حقوق أطفال الشوارع في العالم).

□ حقوق الترجمة خاصة بـ«الميثاق».

■ أول انطباع رصدته فيما كنت أسير في شوارع العاصمة اليمنية صنعاء هو رؤية نساء متشحات في كل مكان بسواد الملابس الواسعة ومنقبات. زيارتي لليمن كانت لحضور دورة مكثفة في دراسة اللغة العربية وللعمل أيضا.

نقاب اليمن وسفور هولندا

بقلم: نكولين بوير

لقد قرأت عن اليمن أنها بلد يتمتع بخصائص تقليدية، لكن القراءة عن هذا النوع من الملابس الذي يغطي الوجه بأكمله، أو في النادر رؤية من ترتدي هذا النقاب في أمستردام، يعتبر شيئاً عادياً لكن العجيب أن تكون محاطا بكل تلك النساء يغطيها السواد ولا تظهر سوى عيونهن من خلال فتحة النقاب بشكل يوحي بالفضول أو اللطف أو الغضب أو الخجل.

وهناك ما هو أغرب، فرجال اليمن كلهم تقريبا يرتدون ثيابا ناصعة البياض حاملين أحزمة مزخرفة حول أخصارهم يتوسطها خنجر تقليدي، والبعض منهم يحمل أحيانا الكلاشنيكوف على أكتافهم.

وأكثر الملاحظات بروزا في اليمن ما يمكن رؤيته بعد ظهيرة كل يوم حيث أشاهد تزايد عدد الذين تنتفخ إحدى وجناتهم نتيجة مضغ أوراق القات التي تحمل مادة خفيفة التخدير، وتعتبر أهم العادات المفضلة لدى الرجال اليمنيين وبعض اليمنيات.

وبحكم كوني أوروبية ولا أرتدي الحجاب، لم تتح لي فرصة التأمل بروية ورسم صورة واضحة عن حراك الشارع اليمني. فوجود امرأة مثلي تمشي في أحد شوارع اليمن يثير موجة من زمامير السيارات وأجد البعض يخرجون رؤوسهم من نوافذها ويناديونني وهناك من يقطع علي الرصيف بسيارته ويوقفها أمامي مما يتسبب في ازدحام شديد في الطريق قد يعرض حياتهم للخطر.

كل تلك المظاهر تجعلني أشعر بشيء غريب كأني أسير في الشارع عارية على الرغم من كل الملابس التي كنت أرتديها، في بعض الأحيان زيادة عن الحاجة فقط لأكون أكثر احتشاما في شوارع صنعاء.

أدركت أن هناك عرفاً أعتاد عليه الناس تلقائيا يشير إلى أن النساء الأجنبيات غير ملزمات بارتداء الحجاب لتغطية الرأس ولكن عليهن أن يغطين أذرعهن وسيقانهن وإخفاء المفاتن الأنثوية من أجسامهن. فكلما تم تغطية الجسم كاملا كان أفضل..شدني ذلك إلى اتخاذ قرار بشراء عباءة ونقاب أسود لتسهيل حرية الحركة ولكي أتمكن من التمتع بمعايشة الحياة اليومية لليمنيات. لكني كلما ذهبت إلى محل لبيع تلك الملابس لم أكن أجد العباءة التي تناسب مقاسي، فأنا طويلة جدا حيث يبلغ ١,٧٨ متر كما أخبرني أحد البائعين في صنعاء. كان هناك من يضحك من البائعين علي عندما كنت أقيس أطول عباءة لديهم تظهر ركبتي ولذلك قررت أن أفصل قطعة تناسب مقاسي.

قبل موعد عودتي إلى المحل لأخذ العباءة والنقاب، ألتقيت لعدة أيام بعض اليمنيات. أخبرتهن بأن الغرب ينظر إلى النقاب الذي يخفي وجه المرأة كاملا بأنه نوع من الظلم والكبت أو أنه رمز للتطرف الديني. لكني وجدت أن للنساء في اليمن أسباباً مختلفة لارتداء النقاب.

من ناحية فهن ينظرن إليه بأنه زي جميل ومن ناحية أخرى يعتبر هو التقليد المسيطر في البلاد. تقول إحدى اليمنيات: "يصاب اليمنيون بفضول مثير لرؤيتهم فقط عيني المرأة".

الكثير من الفتيات في المناطق الريفية يقلدن بنات المدينة في الملبس باعتبار أنه صار موضة العصر أو لأنه يتناسب مع مبادئ وقواعد الدين الإسلامي.

لكن هناك القلة من اليمنيات اللاتي أصبحن يفضلن خلع النقاب والاكتفاء فقط بارتداء الحجاب فوق الرأس ولو ترك الأمر للبقية لكشفت الكثير من اليمنيات عن وجوههن، لكن أرباب الأسر وأزواجهن والناس في الشارع يجبروهن على ارتداء النقاب.

والشيء الذي يثير الكثير من الدهشة أن معظم اليمنيات اللاتي يسافرن إلى خارج اليمن يعترفن بخلع النقاب حال إقلاع الطائرة من اليمن.

بعد سماعي لكل تلك القصص اتخذت قرارا بالذهاب إلى المحل الذي فصلت فيه العباءة والنقاب لأحضرها لا للبسها ولكن فقط لأعلقها في خزانة الملابس. فالأجنبية مثلي لا تواجه لوما أو عتابا لعدم لبسها للنقاب.

ما اكتشفته أيضا أن اليمنيين فضوليون، فالسؤال المفضل لديهم: "هل أنت مسلمة؟"، لكنهم لا يظهرون أي استغراب أو اندهاش عندما تكون الإجابة عن السؤال بالنفي. .ومع ذلك فهم يتمتعون بخصلة مميزة لهم فهم كرماء مضيافون.

فعلى الرغم من أنهم لا يعرفونك بشكل جيد إلا أنهم يكررون الدعوة بزيارتهم والتعرف على منازلهم وأسرهم، الأمر الذي لا يمكن أن يحدث في هولندا إلا عندما ترغب في الزواج من أحد ما.

واللافت أن اليمنيين يكونون أكثر لطفا وكرما عندما أخبرهم بأني هولندية، لأن هولندا كانت إلى قبل عدة سنوات من أكبر الدول المانحة لليمن.

بعد أسبوعين من وصولي إلى اليمن واحتشامي المتكلف جدا، اكتشفت أني عرضت شرفي للطعن دون إدراكي بذلك. ففي صباح أحد الأيام انقطعت الكهرباء عن المنزل الذي أسكن فيه بعدما غسلت رأسي، فلم يكن بإمكاني تجفيف شعري بـ«الاستشوار» وكنت مستعجلة في الخروج من المنزل بشعري المبلل.

لاحظت أن نظرات الناس في الشارع كانت مستهجنة مني. تحدثت إلى إحدى اليمنيات اللاتي تعرفت عليها وأخبرتها عن نظرات الاستياء التي قابلتها ذلك اليوم من الناس في الشارع، فأخبرتني أنه وفقا للتعاليم الإسلامية فإنه يتم غسل الجسم كله بعد ممارسة الجنس. وإذا خرجت إلى الشارع وشعرك مبلل فإن الناس يفهمون أنك اغتسلت بعد ممارسة الجنس.

بعد أربعة أسابيع قضيتها في اليمن عدت إلى هولندا. في اول يوم لوصولي إلى أمستردام كانت الشمس ساطعة فذهبت إلى حديقة «فندل بارك»، وهناك أصبت بدهشة كبيرة من مناظر النساء اللواتي يرتدين ثيابا قصيرة فوضعت نظارتي الشمسية على عيني فلم تستطع عيني احتمال مشاهدة كل هذا العري.

□ عن صحيفة «نيذرلاندز بوست» الهولندية/أمستردام

■ حقوق الترجمة خاصة بـ«الميثاق».